كان هذا الجواب بداية حيرته وكآبته وسهومه ، فقد وضح له انه كان مدفوعا بظروف الموقف امام ابيه وامام السؤال الخطير الذي اطل من عينيه حينما بدا عليه الصمت « أتتخلى عنا يا ولدي ؟ » .. وفي اللحظة نفسها كان الصغار حوله يتطلعون اليه باعجاب من يتمنى ان يكونوا مثله . بل ان الصغار فيما بينهم يتنازعون على ما يحبون ان يكونوه في المستقبل اذا ضمتهم المدرسة مثل اخيهم الكبير، فعلوا ذلك مرات عديدة حتى قبل ظهور النتيجة اذا ما ارتفعت دعوات امه باتجاه السماء ، او اجتمعوا باولاد الحارة يمثلون دور المدرس والتلامذة ويذكر ان اخاه « محمد » الصغير جاءه مرة يبكي ، فالمدرس ـ احد الاولاد الكبار ـ طرده لان جلبابه ممزق ، ومسح دموعه ووعده بجلباب جديد بعد الوظيفة ، وفرح الطفل بهذا الوعد كان الجلباب سيأتي في اليوم التالي. فهذا ما قاله للاولاد حتى اعادوه الى الطابور والشيء الذي الزم كمال امه بتنفيذه تلك الليلة واشترك في تحايلها على تثبيته ، هو اضافة رقعة اخرى للمكان الممزق في جلباب الصغير، وهذا « سيد » بجواره يحتاج لجلباب جديد ، تجرأ مرة ورغب ان يكون مثل جلباب ابن الشيخ الصغير ثم اضاف مطمئنا « سميرة حتخيطه له » ونسي ان يضيف في نشوة ما قالته سميرة عن نيتها في حياكته شبيها بحياكة جلباب « كمال » الوحيد الذي لا يزال يعامله برقة ويحافظ عليه كي يستر به الظاهر . وضم كمال موضع التمزق ليخفيه ولمح طفلا يشير لاخيه بالدنو فيرفض بهزة من رأسه خشية ان ينهره كمال مثلما حدث في الصباح حينما خطف من هذا الطفل قطعة سكر كان يتباهى بها على صبيان الحارة . ان « سيد » يحمل (لسميرة) الفضل في انقاذه من ضرب اخيه وحثه على الجري بعيدا، ثم شغلت كمال بالحديث عن شقاوة الصبيان مع ان عينيها كانتا تستفسران عن شيء لا تقوله .. شيء سري في صدرها منذ اسبلت جفنيها يوما لتكتم السر الذي اوشكت ان تبوح به ، وعندما امسك بيدها تناقلت ايديهما حديثا عنه فاض في لحظة فعدت هاربة تاركة انظاره تتبعها خلف الباب الموارب . واكتسب من وقتها ميلا طاغيا تجاه الباب فاصبح النظر اليه احدى الحاجات الضرورية في يومه حتى لتتجه اليه عيناه عفوا .

امن الممكن اذن ان يستبدل بذلك الطابع آخر مختلفا عنه على امل بعيد في الرجوع اليه ؟ كم يبدو من الصعب حقا ان يقوم المرء بتخطيط حياة جديدة دون مراعاة لقلبه الراعش ..... زمنا قد يطول .

من هنا هو غارق في هذه الهموم يريد الهرب من شيء ينبعث من عينين اطلتا بباب موارب .

وهزه احدهم عقب انتهاء الاذان فتحرك ببطء لصلاة العشاء ـ وانحرف في وقفته عن المحراب فهزه الرجل مرة اخرى باسما :

ـ خليك معدول .... كده ... في الاتجاه ده .

وانصرف المصلون بعد الصلاة واحدا اثر الاخر ، وبقي «كمال» جالسا يفكر فيما يمكن ان يستقر عليه رأيه ، ويبدو انه غاب كثيرا في جلسته اذ جاءه بعض اخوته يبحثون عنه او يسألونه الحضور فلديهم سميرة وامها وشغله اخوته بأقوالهم وثرثرتهم .

ـ امتى حتودينى المدرسة ... ؟

ـ وانا كمان ..؟

وانا ... انا عايز ابقى مدرس كبير ... زي فهمي افندي.. وابقى ناظر كمان .

واشرقت ابتسامة في وجهه وفاضت نفسه بمشاعر خصيبة وهو يمضي بهم الى الخارج يتصورهم كما يتمنون ـ وفي داخله يتردد قول الرجل ..

ـ ... كده ... في الاتجاه ده .

القاهرة — محمود حسن العزب

غرباء

امس التقيت بكم على قممي
وضحكت .. ثم شربت انخابا

وحشدت الهة الزمان على
بابي ... عصرت الليل اعنابا

وفتحت نافذتي . واروقتي
عرشتها .. طيبا ولبلابا

وجدلت افراحي دروب مني
وحملت من نيسان اطيابا

وتهدل الظل الحيي على
شرفاتنا الزرقاء اهدابا

انصاف آلهة هنا اجتمعوا
وتفرقوا في الارض اربابا !

نحن الالى عاشوا الخريف وما
لمحوا الربيع الطفل جوابا

غرباء .. اشباح مشردة
في التيه ... يلتفتون اغرابا

انظل رغم دروب غربتنا
يا اخوتي .. انظل احبابا ؟

**

غدا العرائش في بيادرنا
معروقة ... ستعود احطابا

سنموت ان جف الربيع غدا
لكننا سنعيش احقابا

يا اخوتي ورفعت ثانية
كأسي .. فعبوا الان انخابا

وتركتكم .. وظلالنا ابتعدت
فوق الطريق .. نغيب اسرابا

أنظل رغم دروب غربتنا ...
يا اخوتي .. انظل احبابا !

محيي الدين فارس